

«التعددية» للتهرب من المسؤولية

الخميس, 24 سبتمبر 2009

وليد شقير

إلى أن يتضح ما يقصده الرئيس الأميركي باراك أوباما في حديثه عن «حقبة جديدة من المشاركة» بين بلاده وبين سائر الدول في معالجة أزمات العالم، فإن حديثه عن العودة إلى شيء من التعددية في إدارة العالم، قياساً على الأحادية الفاشلة التي بدأت في التعثر منذ نهاية الولاية الأولى لسلفه جورج بوش ليس إعلاناً عن سياسة جديدة من قبل إدارته.

فمعارضو بوش، وأوباما في طليعتهم، كانوا بنوا معارضتهم على أمور عدة منها رفضهم هذه الأحادية في سياسة أميركا العالمية. بل إن بوش نفسه الذي كان توهم بالحلم الإمبراطوري الذي تولى المحافظون الجدد تغذيته في عقله البسيط، كان عاد عن بعض السياسات الأحادية، حين أخذ يتعثر في العراق بعد مضي أقل من سنة على غزو جيشه له، في محاولة منه لإنقاذ بلاده من هذه الغزوة المنفردة خلافاً لإرادة سائر دول العالم. لكن العودة إلى شيء من التعاون الدولي في عهد بوش لم تكن لتتخذ سياسته في العراق بعدما غرقت بلاده حتى الأذنين في المستنقع.

وإذ اضطرت إدارة بوش إلى اعتماد التعددية في أزمات أخرى، أهمها أزمة الملف النووي الإيراني، فإن من ناقل القول أن يتخفف أوباما من تداعيات أحادية بوش بعدما تسببت بخصومات وصلت حد العداوة حتى مع بعض حلفاء أميركا الغربيين في مرحلة من المراحل. لكن التحول الأميركي عن الأحادية لم يعد ممكناً احتسابه على أنه تنازل من القوة العظمى الوحيدة في العالم. فأزمة الولايات المتحدة أغرقت العالم معها، بحيث باتت هي أيضاً تحتاج إلى مساعدة دول العالم للخروج منها. وهذا ما يفسر اتساع رقعة البحث في الاقتصاد العالمي من الدول الصناعية الثماني إلى الدول العشرين التي اجتمعت أمس للمرة الثالثة. أي إن دول العالم باتت تشارك واشنطن في «غرم» أحاديته، بعدما أبعدها عن «غنم» هذه الأحادية إذا جاز التعبير.

أكثر أوباما من استخدام عبارة التعددية في خطابه أول من أمس أمام الجمعية العمومية للأمم المتحدة الذي جاء أقل من التوقعات، لا سيما بعد الذي قيل عن مبادرة له حول إطلاق عملية السلام في الشرق الأوسط. وعلى رغم قوله بلا شرعية مواصلة إسرائيل الاستيطان، فإن قوله إن «الذين يؤنبون أميركا لانفرادها وحدها بالعمل في العالم، لا يمكنهم الآن أن يقفوا جانباً وأن ينتظروا أن تحل أميركا مشاكل العالم وحدها»، يشي بإمكان تهرب إدارة أوباما من مسؤوليتها عما خربته سياساتها الأحادية السابقة. فهذا كلام حمال أوجه.